"وبشر الصابرين"

لفضيلة الشيخ خالد الراشد حفظه الله

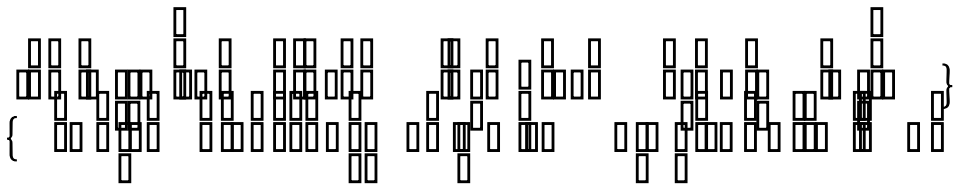

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له
وأشهدِ ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنتُمْ مُسلِمُونَ }
{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً }
{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً ، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }

أما بعد :
فإنَّ أصدق الحديث كلام اللـه وخيـر الهـدي هـدي محمـدٍ صلى الله عليه وسلم ، وشرَّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .
عباد الله :
إلى كل مؤمن مهموم..
وكل مبتلىً مغموم ..
إلى الراضين بالقضاء والقدر ..
إلى المحتسبين عند الله الأجر ..

اسمع كلام الله عز وجل حين قال : { سَـلامٌ عَلَيْكُـم بِمَـا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } فالأيام والليـالي لا تـدوم لـي ولك على وتيرة واحدة .. وكما قال الله : { وَتِلْكَ الأَيَّــام نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } أي تتقلب بأهلها صباح مساء ..
والمؤمن في حياته وأطواره لا يخلو من حالتين :
إما أن يحصل له ما يحب ويندفع عنه ما يكره ، فــوظيفته في هذه الحالة الشكر والاعتراف بأنَّ ذلك من نعـم اللــه عليه ، فيعترف بها باطناً ، ويتحدث بها ظـاهراً ويسـتعين بها على طاعة الله ، وهذا هو الشاكر حقاً.
الحالة الثانية : أن يحصل للعبـد مكـروه أو يفقـد محبوبـاً فيحدث له هم وغم ، فوظيفته هنا الصبر للــه فلا تسـخّط ولا ضجر ولا شكوى للمخلوق بـل الشـكوى للخـالق جـل في علاه كما قال الله على لسان يعقوب : { إِنَّمَآ أَشْـكُو بَثِّي وَ حُزْنِي إِلى اللهِ } .

وإذا عرتــك بليـــة صبر الكريم فـإنه بـك
فاصـــــبر لهـــا أعلـــــــــــــــم
وإذا شــكوت إلــى تشــكو الرحيــم إلــى
ابـــن آدم إنّمـــا الـــذي لا يرحـــمُ

والبلاء عباد الله الذي يصيب العبد يكون في أربعة أشـياء :
في نفسه ، في عرضـه ، فـي أهلـه ، ومـاله .. ولا يخـرج البلاء عن هذه الأربعة ..
عباد الله ..لأن تعلم أنَّ الذي ابتلاك هو أحكم الحـاكمين ، وأرحم الراحمين ، وقيّوم السماوات والأراضين ، وأنه مـا ابتلاك ليهلكك أو ليعذبك ، إنما ابتلاك امتحاناً لـك ليسـمع

تضرعك ونجواك وابتهالك ...فسبحان من ابتلاك لترفع إليه شكواك..
قال أحد المُبتلين في دعائه : ربي كم أدعوك فلا تستجيب دعائي .. فقال الله : إني أحب أن أسمع صوتك ..
فيا الله.. كم في البلاء من النعم التي تخفى على العبد .. وتأمل في حال العبد حين البلاء كيف يذل وينكسر ويقر ويعترف ، كم يلح على الله في الدعاء ، وكم يتضرع إلى ربِّ الأرض والسماء ، وكم ، وكم يظهر من الذلّة والمسكنة لله ربّ العالمين ..ولولا المصيبة والابتلاء ما عرف العبد هذا.. لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كلّه خير إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن) .
فالمؤمن عباد الله على خير في كل حال من أحواله إذا عرف كيف يتعامل مع الظروف والأحوال ..
ونحن عباد الله نحتاج إلى الصبر في كل المجالات وفي كل الأوقات في الشدة وفي الرخاء.. فمن مجالات الصبرعند حبس النفس عند المصائب.. **من مجالات الصبرعند حبس النفس عند المصائب ..** فعن أسامة قال : أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه أنَّ ابناً لي يُقبض – يعني يحتضر – فائتنا ، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ السلام ويقول : (إنَّ لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى فلتصبر ولتحتسب) ، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينّها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ وأبيّ وزيد

ورجال ، فرُفع إلى النبي صلى اللـه عليـه وسـلم الصـبي ونفسه تتقعقع – يعني تتحرك و تضـطرب – فقرّبـه إليـه وعيناه تذرفان ، فقال سعد : ما هذا يا رسول الله!! قـال : (هذه رحمة).. (**هذه رحمـة** جعلهـا اللـه فـي قلـوب عباده وإنما يرحم اللـه مـن عبـاده الرحمـاء) فلا يتنـافى ذلك مع الصبر ..

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند فقد إبراهيــم : (إنَّ العين لتدمع وإنَّ القلب ليحزن وإنّا علـى فراقـك يـا إبراهيم لمحزونون لكن لا نقول إلا ما يرضي ربنــا) ..(**إلا ما يرضي ربنا ..).**

ومن أعظم مجالات الصبر التي نحتاج فيها للصبر الجهـاد في سـبيل اللـه .. ومـا أدراك ! **وما أدراك** مـا يتحمـل المجاهدون في سبيل الله !..

عن عبد الله بن أوفـى أنَّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم كان في بعض أيامه الـتي لقـي فيهـا العـدو ينتظـر حتى إذا مالت الشمس فقال : (يا أيهـا النـاس لا تتمنـوا لقاء العدو ، فـإذا لقيتمـوهم فاصـبروا واعلمـوا أن الجنـة تحـت ظلال السـيوف) ثـم قـام فقـال : (اللهـمُ منـزل الكتــاب ومجــري الســحاب وهــازم الأحــزاب اهزمهــم وانصرنا عليهم).

وسُئل عن أجر المجاهد في سبيل الله فقال للرجل : (لا تقدر على ذلك) ، فألح الرجل في السؤال فقال : (هـل تستطيع أن تقوم الليل لا تنام وتصوم النهار لا تفطر ؟!)، فقال: لا ، فقال : (فذلك أجر المجاهد)..**(فذلك أجــر المجاهد** في سبيل الله)..

نحتاج للصبر عند حفـظ الأسـرار ، ونحتـاج للصـبر لـترك الفضول من العيش ، ونحتاج إلـى الصـبر لـترك الغضـب والعفو عن الناس ، نحتاج إلى الصبر لترك الـذنوب .. أن نكرر إذا اعترضتنا الذنوب : إننا نخاف الله ..نحتاج للصبر في فعل الطاعات والمداومة عليهـا ، نحتـاج إلـى الصـبر في طلب العلم والدعوة إلى الله ، ونحتاج إلى الصبر في كل مجالات الحياة ..
وكل الأخلاق الفاضلة التي يتحلـى بهـا الرجـال إنمـا تـدل على صبرهم .. فالشجاعة صبر ، والحلـم صـبر ، والزهـد صبر ، والعفة صبر.
وللصبر مراتب خمسة ذكرها الفيروزآبادي :
أولها صابر: وهو أعمّها .
ومصطبر: وهو المكتسب للصبر.
ومتصبِّر : أي يحمل نفسه على الصبر .
وصبور : العظيم الصبر في الوصف والكيف.
ثم صبّار : يعني الشديد الصبر في القدر والكم .
وقال ابن القيم رحمه الله الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة :
صبر الأوامر والطاعات حتى يؤديها .
صبر عن المخالفات والنواهي حتى لا يقع فيها .
وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها .
وقال الفيروزآبادي الصبر ثلاثة أنواع :
صبر بالله ، وصبر مع الله ، وصبر لله .
عبـاد اللـه .. بعـد هـذا الكلام وهـذه المقدمـة .. مـا هـو الصبر؟
قالوا:الصبر هو حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دواماً، ورعايتها إخلاصاً ، وتحسينها علماً.

أعيد : **الصبر هو حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دواماً ..** نعرف من يصلي الفجر يوماً وينقطع أيام .. **نعرف من يصلي الفجر يوماً وينقطع أيام .. فالصبر حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دواماً ، ورعايتها إخلاصاً ، وتحسينها علماً.**
والصبر هو كف النفس عن المعاصي وثباتها في مقاومة الشهوات ومقاومة الهوى في العلن وفي الخلوات .. كم نصبر أمام الناس! .. **كم نصبر أمام الناس ..** وإذا خلونا بالمحارم .. **إذا خلونا بالمحارم** انتهكناها ..
وقالوا الصبر هو الرضا بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه أو شكوى معه .

يجري القضاء وفيه لمؤمنٍ واثق بالله
الخير نافلة لا لاهي
إن جاءه فرحٌ أو نابه في الحالتين يقول
ترح الحمد للهِ

ولقد أمرنا الله بالصبر، ونهانا عن ضده ، وأمرنا بالاستعانة به.
أما في الأمر فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ }.
أما في النهي عن ضده فقال : { فَاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أُوْلُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } .
أما بالأمر في الاستعانة به فقال الله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ } .

وأثنى الله على الصابرين بـأنه يحبهـم وكفـاهم شـرفاً .. أخبر أنه يحبهم وأنه معهم ..
أما الثناء فقال الله : { وَ الصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ البَّأسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَ أُوْلَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ } .
أما إخباره بحبه لهم ففي قوله : { وَ اللهُ يُحِبُّ الصَّـابِرِين } .
وقال في الأنفال مخبراً عن معيته لهـم : { وَ اصْـبِرُواْ إِن اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } .
ومن آيات الصبر أخبرنا سبحانه أن الصبر خير لأصحابه .. **ومن آيات الصبر التي مرت بنا أخبرنا سبحانه أن الصبر خير لأصحابه** وأنه يؤتيهم أجرهم بغير حسـاب.. بل أطلق البشـرى لهـم فلـم يقيـدها .. فتأمـل فـي هـذه الآيـات { وَ أَن تَصـْبِرُواْ خَيْـرٌ لَكُـمْ وَ اللـهُ عَفُـورٌ رَحِيـمٌ }،وقال:{ إِنَّمَا يُوَفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْـرِ حِسَـابٍ } ، وقال : { وَ لَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِنَ الخَوْفِ وَ الجُـوْعِ وَ نَقـصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَ الأَنفُسِ وَ الثَمَرَاتِ وَ بَشْرِ (من؟!) **بَشـْر** { الصَّابِرِينَ } اللهم اجعلنا منهم ..
وجمـع للصـابرين مـن الفضـل والأجـور مـا لـم يجمعهـا لغيرهم فقال الله : { أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَـلَوَاتٌ مِـن رَّبهِـم وَ رَحْمَةٌ وَ أُوْلَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ } صلوات وهدىً ورحمة ..
قال الشعبي رحمه الله : أولئك – أي الموصوفون بالصبر المـذكور – عليهـم صـلوات مـن ربهـم .. أي ثنـاء وتنـويه بحالهم ورحمة...ومن رحمته إيـاهم أن وفقهـم للصـبر .. **ومن رحمته إياهم أن فقهم للصبر**الذي ينـالون بـه كمال الأجر ، وأولئك هـم المهتـدون الـذين عرفـوا الحـق

وهو في هذا الموقع علمهم بأنهم لله وأنهم إليه راجعـون .

ثم قال رحمه اللـه : ودلـت هـذه الآيـة علـى أن مـن لـم يصبر فله ضد ما لهم ، فحصل له الذم من الله والعقوبــة والضلال والخسارة ..

فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصـابرين ، وما أعظم عناء الجازعين .. انتهى كلامه رحمه الله ..

عباد الله .. حتى تتحقق مقاصدنا وآمالنا فلا بدَّ من الصبر ..

وكما قيل من صبر ظفر..فلولا الصـبر لمـا حصـد الـزرَّاع بذرة ، ولما جنى الفارس ثمرة ، وكل ناجـح لـم ينجـح إلاَّ بصبّره في تحقيق نجاحه فلا عوائق ولا موانع تقـف أمـام الصابرين ..

قال أبو يعلى الموصلي :

إنــي رأيــت وفــي للصبر عاقبةٌ محمودة
الأيـــام تجربـــةٌ الأثـــــــــــــــر
وقـلَّ مـن جـدّ فـي واصـطحب الصـبر إلاَّ
أمـــــر يحـــاوله فـــــاز بـــــالظفر

قد يقعون لكنهم سرعان ما ينهضون..قـد يفشـلون مـرة ومرة لكن الصابرين لا ييأسون ..

لا ييأســـــنَّ وإن إذا استنعت بصبرٍ أنِ
طـــالت مطالبـــةٌ تـــــرى فرجـــــاً

أقول هذا مـن أراد أمـر مـن أمـور الـدنيا لا بـدَّ أن يصـبر ويصابر .. فكيف من أراد الفلاح بالآخرة !!.. **كيـف مـن**

أراد الفلاح بالآخرة !.. كيف من أراد حور وقصور وحبور! فطلّاب الجنّات أولى بالصبر والتحمّل ..كيف وقد حُمِّلوا الأمانة التي لتنوء بحملها السماوات والأرض والجبال ..
عباد الله.. إنَّ أهل الإيمان أشدّ تعرضاً للأذى والمحن والابتلاء في أموالهم وأنفسهم وكل عزيز لديهم لأنهم ينشدون الجنة وهي سلعة الله الغالية ..فلا بدَّ لها من ثمن ولا مفرَّ من الثمن ..إنَّ الله اشترى وهم.. **وهم** باعوا ..
ولقد دفع الثمن أهل الحق على مرّ العصور، فلا بدَّ أن يدفعه من سار على طريقهم ..بسم الله الرحمن الرحيم : { الم ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ ، وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَ لَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ } .
قال صلى الله عليه وسلم : (أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة اشتدَّ عليه البلاء وإن كان في دينه رقة خُفف عنه البلاء و لا يزال البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)
عباد الله .. لا بدَّ من الابتلاء .. **لا بدَّ من الابتلاء** لأهل الإيمان ، ولا بدَّ ..**لا بدَّ** حينها من الصبر والثقة واليقين برب العالمين ، لكن لماذا الابتلاء !!
قال أهل العلم لأمور عدة أولها تطهير الصفوف كما قال الله { مَا كانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلِيهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِبِ }.

ومن حكم البلاء أيضاً تربية المـؤمنين ففـي الابتلاء نضـج وتقويــة للصــفوف و صــقل للمعــادن كمــا قــال اللــه { وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنوُا وَ يَمْحَقَ الكـافِرِينَ } ، وكمـا قال الله { وَ لِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِـي صُـدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِـصَ مَـا فِي قُلُوبِكُم وَ اللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور }.

ومــن حكــم البلاء أيضــاً رفعــة الــدرجات ومضــاعفة الحسنات وتكفير للسـيئات فيخرجـون مـن الابتلاء كيـوم ولدتهم أمهاتهم ..

فالـذنوب عبـاد اللـه لازمـة للبشـر فمـن رحمتـه تعـالى ابتلاهم وتعاهدهم بالبلاء من حين إلى حين لتتحات عنهـم خطاياهم بالصبر كما قال صلى الله عليـه وسـلم :(فمـا يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة)..

وإن كان الصـبر ضـرورة لأهـل الإيمـان فهـو أكـثر وأشـد ضرورة للرسل والأنبيـاء ومـن سـار علـى طريقهـم مـن الأتباع الصادقين . قال الله لنبيه { فَاصْبِرْ كمَا صَـبَرَ أُوْلُـو العَزْمِ مِنَ الرُّسُل } .

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم أشـد هـؤلاء ابتلاءً . قـال بأبي هو وأمي : (لقد أُوذيت فـي اللـه ومـا يُـؤذى أحـد ، ولقد أُخفـت فـي اللـه ومـا يُخـاف أحـد) .. حوصـر فـي الشـعب .. عُـذب أصـحابه .. مـات أبنـاءه .. طعـن فـي شرفه وعرضه .. مؤامرات لاغتيـاله .. أُخـرج مـن ديـاره ..ومع هذا يـردد ويقـول : (أفلا أكـون عبـداً شـكوراً) ..

حوصر في الشعب .عُذب أصحابه .. مـات أبنـاءه .. طعن في شرفه وعرضه .. مؤامرات لاغتيـاله

.. أخـرج مـن ديـاره.. ومـع هـذا يـردد ويقـول : (أفلا أكون عبداً شكوراً) ..

ثم صبر الأتباع الصادقين من بعده كما قال الله { مُحَمَّـد رَسُولُ اللهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُـمْ } ، وقال الله عن أتباع الأنبياء { وَ كَـأَيِّن مِـنْ نَبِـيٍّ قَاتَـلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ مَا ضَعُفُواْ وَ مَا اسْتِكَانُواْ وَ اللهُ يُحِبُّ } من ؟! { وَاللهُ يُحِـب الصَّابِرِينَ } اللهم اجعلنا منهم ..

عباد الله .. بعث عمر برسالة إلى أبي موسى قال فيهـا : اعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر .. الصـبر في المصيبات حسن لكن الصبر عما حرّم الله أحسـن .. **الصبر في المصيبات حسن لكن الصبر عما حرّم الله أحسن ..**

لا بدَّ أن تعلم رعـاك اللـه أن الحـال لا تـدوم علـى وتيـرة واحدة فمـا مـن بلاء إلاَّ وخلفـه فـرج والعكـس بـالعكس ..تأمل في قـوله تبـارك وتعـالى { لِكَيْلا تَأْسَـوْاْ عَلَـى مَـا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُـواْ بِمَـا آتَـاكُمْ وَ اللـهُ لا يُحِـبُّ كُـلَّ مُخْتَـالٍ فَخُورٍ} فلا بدَّ أن يعلم المبتلى أن الفرج آت لا محالة .. فالمصائب والبلاء أيامٌ معدودة ثم لحظاتٌ وتنجلي ..

كان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال : سحابة صـيف ثم تنقشع ..لكن قبل أن تنقشع لا بـدَّ مـن الصـبر والثقـة واليقين بربّ العالمين .

قال بعض السـلف : أفضـل العبـادة انتظـار الفـرج مـن الذي بيده مفاتيح الفرج .

يــا صــاحب الهــم إنَّ لا تجزعــنَّ إنَّ الفــارج
الهـــــم منفـــــرجٌ اللـــــــــــــــــه

إذا بليـت فثـق بـالله إنَّ الـــذي يكشـــف
وارضـــــــى بـــــــه البلـــوى هـــو اللـــه

وحتى تهون عليك المصيبة عبد الله ..انظـر إلـى مصـاب غيرك .. آدم عانى المحن إلى أن خرج من الدنيا ..أخــرج من الجنة ، وتاه في الأرض ، وقتل هابيـل قابيـل.. وبكـى نوح ثلاثمائة عام ، وصبر على قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وأخذ الطوفان ابنه ولم تـؤمن زوجتـه .. ثـم ألقـي في النار الخليل ، ووضع ابنه وزوجه في وادٍ غيـر ذي زرع ، ثم يأمره اللـه بـذبحه ثـم هـو يصـبر ويحتسـب.. وبكـى يعقوب حتى ذهب بصره ..وقاسـى موسـى مـن فرعـون ومن بنـي إسـرائيل مـا قاسـى .. وعيسـى ابـن مريـم لا مأوى لـه إلاَّ الـبراري والصـحراء .. ومحمـد مطـارد فـي الغار ، قاسى الفقر، وقُتل أصحابه ..
هذا حال الأنبياء وهم أشد الناس حباً وثقة بالله ..سـأقف مـع بلاء إبراهيـم وصـبره ولكـن فـي الخطبـة الثانيـة .. **سـأقف مـع بلاء إبراهيـم وصـبره ولكـن فـي الخطبة الثانية ..**

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية :

الحمد لله على إحسانه والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه . اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه ..

أما بعد :
عباد الله .. أوصيكم ونفسي بتقوى الله ومن تقـوى اللـه الصبر علـى الطاعـات، الصـبر عـن المنكـرات ، والصـبر علـى قضـاء اللـه وقـدره فـي كـل الأحـوال وفـي كـل المسارات ..
عباد الله .. في خبر إبراهيم عليه السلام عجـب العجـاب فتعـالوا نتبـع الخـبر .. **تعالوا ننتبـع الخـبر** أنـا وإيـاكم بإيجاز واختصار ..
إبراهيم عليه السلام حُرم الولد لسنوات طوال ثم رُزقـه على كبر ، ثم أمره الله أن يضـعه وأمـه فـي وادٍ غيـر ذي زرع والخير معروف { رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِـن ذُرِّيَّـتي بِـوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكِ المُحَرَّمِ } ثم لما كبر الغلام وشـب وتعلق قلب إبراهيم به .. كيف لا والله يصـف ذلـك الغلام بوصف عجيب قال الله { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيـمٍ } ثـم هـا هـو الأب الشـيخ الكـبير المقطـوع مـن الأهـل والقرابـة المهاجر من الأرض والوطن ، رُزق بغلام لطالمـا تمنـى أن يناله ثم أعطيه ..موصوف من ربه بـالحلم ..فمـا كـاد يأنس به ويشب ويترعرع أمـام عينـه فـإذا هـو يـرى فـي منامه أنه يذبحه ..**فيرى في منامه أنه يذبحه** فيـدرك

إبراهيم أنها إشارة من ربه بالتضحية .. إنه الابتلاء والامتحان.. فهل تردد أو توانى!! أبداً والله.. ولم يأت في قلبه إلا الشعور بالطاعة ، ولم يخطر بباله إلا التسليم والاستسلام لربّ العالمين .. تأملوا الأمر كان إشارة ولم يكن وحياً صريحاً ولا أمراً مباشراً ولكنها إشارة من ربه وهذا يكفي ..
لله أكبر ..كم من الأوامر الصريحة اليوم .. **كم من الأوامر الصريحة اليوم** تُترك ويتهاون بها .. لم يتسخط إبراهيم ولم يعترض ..لم يقل لماذا يا رب أذبح ابني الوحيد ! لم ينزعج ، لم يجزع ، ولم يضطرب ..إنما قبول ورضى وهدوء وطمانينة ..
يظهر ذلك في كلامه لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل { قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى } كلمات المتمالك لأعصابه المطمئن لأمر الله الواثق بأداء الواجب.. كلمات مؤمن صادق .. لم يتعجل ويندفع لينتهي الأمر بسرعة ويستريح .. ووالله الذي لا إله إلا هو إن الأمر أشق مما تتصور .. **والله الذي لا إله إلا هو إن الأمر أشق مما تتصور ..** هو لم يطلب منه أمراً قد يودي بحياته إنما يطلب أن يتولى الأمر بنفسه .. **إنما يطلب أن يتولى الأمر بنفسه ..** وأن يتولى الذبح بيديه.. ثم هو ذا يعرض الأمر على الابن ، ويطلب من الابن التروي في الأمر { يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى } سبحان الله أما كان في أخذ الابن على حين غرة راحة له وانتهى الأمر..**أما كان في أخذ إبراهيم للابن على حين غرة راحة له و انتهاءً للأمر ..**

ها هو يعرض عليه الأمر وكأنه أمراً مألوفاً فـالأب مبتلـى بفعل الأمر، والابن مبتلى بالسمع والطاعة ..
أيـن الأبنـاء الـذين يعقـون آبـاءهم !!! أيـن الآبـاء الـذين يعقون أبناءهم !! ها هو الأب يعرض علـى ابنـه أن يقتلـه فيقول الابـن مسـتمعاً مجيبـاً { يَـا أَبَـتِ افْعَـلْ مِـا تُـؤْمَر **(افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)** سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّـابِرِين } فلله درّ الأب ولله درّ الابن ، والتربية لم يعد لهـا دور .. يعرض عليه الذبح لرؤية رآها فيستسلم الابـن للأمـر .. { قَالَ يَا أَبَتِ افْعَـلْ مِـا تُـؤْمَرُ سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللـهُ مِـنَ الصَّابِرِينَ }
لم يتلـقَ الأمـر فـي طاعـة واستسـلام فقـط بـل برضـى ويقين ..
تأمل في قـول الابـن { يَـا أَبَـتِ } فـي كـل أدب ومـودة ..فالذبح لا يخفيه ولا يزعجه ولا يفقـده أدبـه { افْعَـلْ مَـا تُؤْمَرُ }.. فهو يعلم أن الرؤيا إشارة مـن ربَّ العـالمين .. **فهو يعلم – أي الابن – أنَّ الرؤيا إإشـارة مـن ربّ العالمين ..** ثم أظهر الابن ضعفه وأنه لـن يحتمـل ذلـك شـجاعة وقـوة ، ولكـن أدبـاً مـع ربـه واسـتعانة بـالله { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّـابِرِين } أدب وروعـة فـي الإيمان ، وعظمة في الاستسلام ..
ثـم بعـد الحـوار يبـدأ التنفيـذ .. **ثـم بعـد الحـوار يبـدأ التنفيذ**{ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ } قال اسماعيل لأبيه : اشدد رباطي .. **اشدد ربـاطي** ليسـكن جسـدي كمـا سكن قلبي ، واكفف ثيابك عن دمـي لئلا يصـيبها فتحـزن أمي لرؤيته و أقرئها أمي مني السلام .. فقـال إبراهيـم : نعم العون .. **نعم العون** أنت يا بني ..

فأين الأبناء يعينون آباءهم اليوم !!! أين **الأبناء يعينون آباءهم** بعد أن بلغهم من الكبر ما بلغهم .. بل لقد تكلّم معي قبل أن أدخل المنبر الآن .. من يقول لي يقف أمام وجهي ويسبني ويشتمني .. يقف ابن العشرينات أمام وجهي ويسبني ويلعنني ويتطاول علي في الكلام .. يقول الأب : حتى أصبحت خائفاً على نفسي منه .. **حتى أصبحت خائفاً على نفسي منه ..**

قال اسماعيل لأبيه : اشدد رباطي ليسكن جسدي كما سكن قلبي ، واكفف ثيابك عن دمي لئلا يصيبها فتحزن أمي لرؤيته و أقرئ أمي مني السلام .. قال إبراهيم : نعم العون أنت يا بني ..

قال ابن الجوزي : الله اكبر.. ليس العجب أمر الخليل بالذبح ، إنما العجب مباشرة الذبح بيديه .. **ليس العجب أمر الخليل بالذبح العجب أنه باشر الذبح بيده ..أنه باشر الذبح بيديه ،** ولولا حبّ الآمر لما هان المأمور .. **ولولا حبّ الآمر لما هان المأمور ..**

انظر الفرق بين اذبح ولدك وباشر الذبح بيدك ، وبين من قيل لهم اذبحوا بقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون ..

ثم أتت لحظات التنفيذ { فَلَمَّا أَسْلَمَا}.. **{ فَلَمَّا أَسْلَمَا }** وكبه على وجهه واستسلم الأب للأمر.. واستسلم الابن للذبح.. هذا هو حقيقة الإسلام .. **هذا هو حقيقة الإسلام** ..استسلام لله بالأمر والطاعة والرضا والتسليم ، { وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} ووضع السكين وأعملها في رقبته فلا السكين قطعت ولا الغلام جزع .. **{ تَلَّهُ لِلْجَبِين } ووضع على رقبته السكين وأعملها**

في رقبتـه فلا السـكين قطعـت ولا الغلام جـزع .. ، ثم أعاد الكرة مرة مرة .. مرة تلـو المـرة وهـو يحـذ السكين في كل مرة ، فلا السكين تقطع ولا الغلام يجـزع ..
اعلم بارك الله فيك ..أنه ليس المراد من الابتلاء التعذيب .. **اعلـم بـارك اللـه فيـك..أنـه ليـس المـراد مـن الابتلاء التعــذيب ..**ولكــن المــراد منــه التهــذيب { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } ..
فلا تخــرج الأعمــال علــى أحســن صــورة إلا بالتهــذيب والتدريب ..
لقد استسلم إبراهيـم ورضـي اسـماعيل ولـم يبـقَ إلا أن تُزهق الروح ويسـيل الـدم ، ثـم الابتلاء ورفـع الامتحـان ، وظهــرت النتائــج أن اللــه لا يريــد الــدماء والإجســاد .. **ظهــرت النتائــج أن اللــه لا يريــد منــا الــدماء والإجساد ..**ولكن يريد منا الإسـلام والتسـليم والصـدق واليقيــن .. **لكــن يريــد منــا الإســلام والتســليم والصدق واليقين ..**
ولقد حقق الأب والابن هذا بكل صبر وثقة ومعين ..
{ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيـمُ ، قَـدْ صَـدَّقْتَ الرُؤيَـا إِنَّـا كَـذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ ، إِنَّ هَـذَا لَهُـوَ البَلاءُ المُبِيـنُ ، وَ فَـدَيْنَاه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } لقد حققت الرؤيا وسلَّمت واستسلمت ..
فلا ابن ولا مال أعز وأغلى من الله وحده .. **فلا ابن ولا مال أعز وأغلى من أمر من أوامر الله وحده ..**
نعم يا إبراهيم لقد فعلت وجدت وأعطيت أعز شيء فـي هدوء ورضـا واطمئنـان ولـم يبـقَ إلا اللحـم والـدم وهـذا ينوب عنه ذبح عظيم ..**وهذا ينوب عنه ذبح عظيم ..**

فنحن لا نريد دم اسماعيل ولا لحمه ولكن نريد منكما الإسلام والاستسلام ، والصبر على القضاء والثقة واليقين ..
عباداالله .. إبراهيم هو خليل الرحمن ، والخلة هي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه حتى لم يبقَ فيه موضع لغير المحبوب .. **حتى لم يبقَ موضع لغير المحبوب ..**
ولذا سمي الخليل خليلاً ، وهذا هو السر والله أعلم الذي لأجله أمر الله الخليل بذبح ولده ، وثمرة فؤاده وفلذة كبده ..سأل الولد فأعطيه ، وتعلق به قلبه وأخذ شعبة من قلبه ، والخلة منصب لا يقبل الشراكة والقسمة .. **والخلة منصب لا يقبل الشراكة والقسمة ..**فغارالخليل على خليله .. **فغار الخليل على خليله ..**أن يكون في قلبه أحد سواه فأمره بذبح ولده .. **فأمره بذبح ولده** ..ليخرج المزاحم من قلبه ، فلما وطَّن نفسه على ذلك وعزم عليه حصل المقصود فلم يبقَ في إزهاق نفس الولد مصلحة فحال الله بينه وبين ذلك وفداه بالذبح العظيم ..فجاء الأمر { يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَد صَدَّقْتَ الرُؤيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ } ...أي من أطاعنا وامتثل أوامرنا لا{ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ} .
عباد الله ..ما تمر به بلادنا اليوم من فتن ومصائب وأهوال جسام .. تحتاج إلى صبر وثقة ويقين بربّ العالمين ، وأنه لا يأتي من الله إلاَّ خير .. **وأنه لا يأتي من الله إلاَّ خير ..**

سـحابة صـيف وستنقشـع { وَ سَـيَعْلَمُ الَّـذِينَ ظَلَمُـواْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ }..

فردد وكرر وادعو دائماً :
اللهم .. اجعلنا ممن إذا أنعمت عليه شكر ، وإذا ابتليته صبر ، وإذا أذنب استغفر..

اللهم .. حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين
اللهم.. لا تحرمنا خير ما عندك بأسوء ما عندنا يا حيّ يا قيّوم
اللهم.. انصر من نصر الدين واخذل من خذل عبادك الموحدين
عباد الله .. ألا إنَّ الله أمركم بأمر بدأ به بنفسه وثنَّى به بالملائكة المسبحة بقدسه
فقال جلَّ من قائل
(إِنَّ اللهَ وَمَلاِئكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَ سَلِّمُواْ تَسْلِيماً)
اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
اللهم ارضى عن صحابته أجمعين ، وعلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي
وسائر الصحابة وسائر التابعين ومن سار على هديهم واقتدى بهداهم إلى يوم الدين
وعنا معهم بجودك وكرمك ورحمتك
يا أرحم الراحمين